وفي شتاء ١٩٦٢، طالبوا بملابس وأغطية وأحذية، وكانوا حفاة شبه عراة في مناخ قارس، لكن مطالبهم لم تستجب.

وفي شتاء ١٩٦٣، قرروا الاضراب عن الطعام بعد ان شعروا بأنهم هالكون في مثل تلك الظروف، لكن ادارة السجن أخفت خبر الاضراب عن الطبيب الذي يزور السجن مرتين في الاسبوع؛ وفي الزيارة الثانية بعد ستة ايام من الاضراب عرف الطبيب بالخبر وفزع من حالة المعتقلين الصحية، فاستدعى وفدا من الاطباء العسكريين ووعدوا المعتقلين ببذل كل جهودهم لتحقيق مطالبهم المتواضعة، على ان يوقفوا الاضراب، فأوقفوه في اليوم الثامن.

وجاءت البطانيات الممزقة، والثياب، مما استهلكه الجنود ثم عمال التنظيفات، والبساطير المقطعة، ونال زيادين حين ذاك فردتي حذاء للقدم اليسرى.

في هذه الاونة أعاد الخبراء دورة التحقيق والضغط، محاولين جني حصاد الاوضاع القاسية التي فرضوها على الشيوعيين، وكانت ايامها مذابح الشيوعيين في العراق، وكان هناك من يفكر في الاردن بقتل الشيوعيين والتخلص منهم، مستغلا الاجواء في المنطقة. استدعي زيادين، تحدث معه ضابطان على مسمع من الخبير النازي، هددوه وذكّروه بالمذابح ضد الشيوعيين في بغداد، فهاجمهم وذكرهم بالمذابح ضد الكولونياليين والعملاء في شوارع الجزائر فاعادوه للزنزانة.

وفي هذه الاونة أيضا استخدم النازيون شكلا آخر من الضغط على المعتقلين: كانوا يحضرون عوائلهم، امهاتهم ونساءهم واطفالهم، محاولين التأثير على عزيمتهم، «هي كلمة» كانوا يقولون لهم، استنكروا الحزب واذهبوا مع ذويكم الآن، لكنهم صمدوا ايضا.

وانتهت تلك الايام الشاقة والمريرة واعيدوا الى معتقل الجلر في نيسان (ابريل) ١٩٦٣.

آخر الليل

في أوائل سنة ١٩٦٤ ارتفعت نهائيا يد الخبراء الفاشيين وانسحبوا ملزمين بعجزهم، وفي اواخر سنة ١٩٦٤ عبّرت على الشيوعيين المعتقلين تجربة جديدة بالغة الخطورة، نجمت عن التطورات السياسية والاقتصادية التي حدثت في مصر – عبد الناصر، وربما عن تجربة الحزب الشيوعي المصري انذاك. وكانت زيارة خروتشيف لمصر واشادته بالتجربة الاشتراكية لعبد الناصر هي الحدث الذي طرح المسالة بشكل حاد، حيث ارتفعت اصوات تقول: ها ان الاشتراكية في المنطقة تبنى بدون الشيوعيين. وكان القرار «علينا أن نخرج كما دخلنا... وبعد خروجنا نحلل الاوضاع انطلاقا من الواقع» الذي بعدنا عنه سنوات طويلة، ونصل الى موقف» (ص١٢٣). وقد كان واضحا ان بعضا من المعتقلين لم يقتنعوا بهذا الموقف وإن تظاهروا بالالتزام به، وقد ابتعدوا عن الحزب واختطوا طريقا آخر بعد خروجهم.

وفي اوائل سنة ١٩٦٥ بدأت تسري الى المعتقل نغمة حول الافراج تعقبها نغمة معاكسة، وذلك حتى اواخر اذار (مارس) حيث جاء النبأ بالافراج. وجرى نقل المعتقلين الى سجن عمان، وهناك جرى توزيعهم على مناطقهم.

وفي الكلمة التي ألقاها فيهم حاول وصفي التل، وكان رئيس الوزراء آنذاك، ابراز النوايا الحسنة لحكومته، التي تتطلب نوايا مماثلة من الشيوعيين، ورد عليه فائق وراد مقدرا خطوة الافراج عنهم، ومؤكدا تمسك الشيوعيين بعبدتهم ونضالهم الذي قدموا في سبيله التضحيات الجسام مشددا أعلى اهمية الديمقراطية في البلاد.

الخروج الى السجن الكبير

بعد ثماني سنوات من الغياب لهؤلاء المحازبين الاشداء، يجيء اللقاء باعثا باعثا على المرارة. في